﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون: 5 - 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بَعدَ وصفِ المظهر الخارجيّ انتقل إلى بَيان العِناد والاستعلاء

لمّا تَقَدَّم في النَّظمِ الجليل فضحُ المنافقين والتَّحذيرُ مِن الاغترار بِمَظهرهم الخارِجيِّ، أتبعه هنا بصفاتٍ أخرى تزيدُ فضائحَهم[1]؛ فالآية امتدادٌ لِما قَبلَها، فَبَعد وصفِ المظهر الخارجيِّ للمنافقين انتقَل إلى وصف عنادهم وغِلظَتهم مع الدَّعوةِ إلى الحَقِّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَوَّوْاْ﴾: (لوي) أصلٌ يَدُلُّ على إمالةٍ للشَّيء. يقال: لوى يده يلويها. ولوى برأسه: أماله[2]. واللَّيُّ: فَتلُ الحبل، يقال: لَوَيْتُهُ أَلْويهِ لَيًّا[3]. ولَوى الرَّجلُ رأسَه وأَلْوَى برأسه: أمال وأعرض[4]، ولوى الشّيء فالتوى. وبلغوا مُلتوى الوادي: مُنحناه. ولوى يده وإصبَعَه. وكلَّمتُه فَلَوَّى رأسَه، ومنه: ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾، فالمراد به هنا: أمالوها وعطفوها تكبُّرًا عن الحقِّ[5].

2) ﴿مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: (كبر) أَصْلٌ صَحيحٌ يدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ[6]، والكِبْر: التَّعاظُمُ والاتِّصافُ بِالعَظَمَةِ، يُقال: كَبُرَ،

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 405.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لوي).
(3) الرّاغب، المفردات: (لوى).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (لوى).
(5) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لوي).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كبر).

يَكْبُرُ، كِبَرًا، أي: عَظُمَ، ويُقال له أيضًا: التَّكَبُّرُ والاسْتِكْبارُ، وضِدُّهُ: التَّواضُعُ والتَّصاغُرُ[1]، والكِبْرُ: الحالة التي يتخصَّصُ بها الإنسان مِن إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسانُ نَفسَه أكبَرَ مِن غيره، وأعظمُ التَّكبُّر: التَّكبُّرُ على الله بالامتناع مِن قبول الحقِّ والإذعان له بالعبادة. والمُتَكَبِّرُ: المُتَعالي والمُتَعاظِمُ، كَبُرَ وتَكَبَّرَ عنِ الشَّيْءِ: إذا تَرَفَّعَ وتَنَزَّهَ عنه[2]، والمرادُ به في الآية الكريمة: التَّكبُّر والامتناع عَن الإيمان[3].

3) ﴿سَوَآءٌ﴾: (سوي) أصْلٌ يَدُلُّ على استِقامةٍ واعتِدالٍ بَينَ شَيئَيْنِ، يقال هذا لا يُساوي كذا؛ أي: لا يُعادِلُه، وهُم على سَوِيَّةٍ مِن هذا الأمر، أي: سواء[4]، واسْتَوَى الشَّيئان: تَماثلا، وسَواءُ الشَّيءِ: وسَطُه، لاستِواءِ المسافةِ إليه مِن الأطرافِ، والتَّسويَةُ: ضِدُّ المُفاضَلَةِ، وتأتي بِمعنى العَدلِ والإنصافِ[5]، والمرادُ به في الآية الكريمة: معتدلٌ ومُستوٍ عندهم الاستغفارُ وتَرْكُه[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استكبارُ المنافقين عَن طلب المغفرة وعقابُ الله لهم على ذلك

يُخبِرُ يُخبِر النَّظمُ الجليلُ عَن بعض أمارات هؤلاء المنافقين بأنَّهم إذا قيل لَهُم هَلُمّوا إلى رسول الله ﷺ ليطلُبَ لكم مِن رَبِّكُم الغفرانَ لذنوبكم لوَّوا رُؤوسَهم استكبارًا وعنادًا وزهدًا في الاستغفار[7]. ولا يقفون عند ذلك، بل يصُدّون ويُعرضون لانطماس بصيرَتهم؛ لذلك مستوٍ عندهم طلبُ المغفرة لهم مِن الله وعَدَمُ طلبِها لِكُفرِهم بالله، فكان عقابُهم أنَّ الله تعالى لن يَعفوَ عَنهم ما داموا على نِفاقهم

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (كبر).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (كبر).
(3) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 443.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوي).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سوا).
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 85.
(7) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 331.

وإصرارهم على الفِسقِ ورسوخهم في الكفر؛ لِأَنَّ سُنَّةَ الله جَرَت بأنَّه لا يوفِّق للإيمان القومَ الكافرين الخارجين عن طاعته[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾:

دَلَّت الواوُ على عطف الجملة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، وذلك للتَّدرُّج في فضح أحوال المنافقين، والتَّشنيع عليهم، حيث انتقل مِن توصيفِ مَظهَر وصورة المنافقين إلى عرض موقفٍ عمليٍّ يكشف حقيقتَهم[2] ومدى استكبارهم وإعراضِهم عن الحقِّ، رغم وضوح الدَّعوة ورحمة النَّبيِّ ﷺ بهم.

أفعالُ المنافقين نوعٌ آخر مِن أنواع صفاتهم الذَّميمة

بلاغةُ التَّعبيرِ بالشَّرطيَّة:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالجملة الشَّرطيَّة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ لبيان التَّلازم بين الشَّرط وجوابه، فكُلَّما تَكَرَّر القولُ لهم بالحضور إلى النَّبيِّ ﷺ ليستغفر لهم استكبروا وأعرضوا. وهذا يصوِّرُ الاستمرارَ والإصرارَ على نفاقهم وكُفرِهم.

تصويرُ استمرار المنافقين على نفاقهم وكُفرِهم

نُكتةُ الاشتراط بـ(إذا) دون (إن):

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بأداة الشَّرط (إذا) دون (إن) في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾؛لأنَّها تأتي في مقام التَّأكيد لِما يُقطَعُ بوقوعه، ولمّا كان الأمرُ يَتعلَّق بموقف المنافقين مِن إعراضهم عن الذَّهاب إلى رسول الله لكي يستغفرَ لهم، وهذا المسلَكُ يتكرَّرُ منهم على الدَّوام، وليس أمرًا نادِرَ الوقوع، ناسبَ أن يُعَبِّر بـ(إذا) دون (إن).

إعراضُ المنافقين مُحَقَّقٌ مُكَرَّرٌ

(1) جماعة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/ 555.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 243.

دلالةُ بِناء الفعل ﴿قِيلَ﴾ لِما لم يُسَمَّ فاعلُه:

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفِعل ﴿قِيلَ﴾ المَبنيِّ للمفعول في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ للتَّنبيه على أنَّ دعوة المنافقين لطلب الاستغفار لم تصدُر عن شخصٍ مُعَيَّن، بل صَدَرت مِن جماعةٍ مُتفرِّقَةٍ مِن المؤمنين، أو حَتَّى مِن بَعض المنافقين الّذين هداهم الله[1]. وفائدةُ هذا الإبهام بيان أنَّهم تلقَّوا تلك الدَّعوة بصورةٍ مُكَرَّرة مِن أشخاصٍ كثيرين، وهذا يبيِّنُ شِدَّة إصرارهم على الكفر والنِّفاق؛ كما يُبَيِّنُ حِرصَ المؤمنين على توبة هؤلاء المنافقين مِن مقولتهم.

دعـوةُ المنافقين لِـطَـلَـبِ الاسـتـغـفـار صـادِرَةٌ عَـن عموم المؤمنين

دلالةُ اللّامِ في قولِه ﴿لَهُمْ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بحرف الجَرِّ (اللّام) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ لِبَيان أنَّ تلك المقولَةَ قيلت لأجْلِهم نصيحةً لهم ودعوةً[2]. فاللّامُ تبَيِّنُ أنّ المقصود بالقول والنُّصحِ هم المنافقون، وأنّ إيصال الدَّعوة لهم لا لغيرهم، وللتَّمييز بين استغفاره ﷺ العامِّ للمؤمنين، وبين هذا الاستغفار للمنافقين.

الـدَّعـوةُ لطلب الاسـتـغـفـار خالصةٌ لأجلهم

نُكتةُ تقديمِ شِبه الجُملة ﴿لَهُمْ﴾:

قَدَّمَ النَّظمُ الجليل شِبهَ الجملة ﴿لَهُمْ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ وذلك للدِّلالة على تخصيص هذه الدَّعوة إليهم، فَكَأنَّ الخِطابَ لم يوجَّه إلاَّ إليهم، لبيانِ الاهتمامِ بتوبتهم. وفيه توجيهٌ لَهم إلى الخضوع والقَبول وتَركِ الاستعلاء عَن الذَّهاب إلى رسول الله ﷺ لطلب المغفرة.

تخصيصُ هذه الـدَّعـوة بهؤلاء المنافقين

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله ﴿تَعَالَوْاْ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ باسمِ الفِعل ﴿تَعَالَوْاْ﴾ في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿وَإِذَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 243.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 331.

طلبُ العُلوِّ إلى مقام التَّوبة والاستغفار

قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ دونَ التَّعبيرِ بـ(ائتوا)؛ لأنّ ﴿تَعَالَوْاْ﴾ اسمُ فِعلٍ أمر يدُلُّ على الطَّلب مِن المخاطب بالحضور، وأصلُه مِن العُلوِّ، أي: السُّموُّ والارتفاع، يقال: تعالى النَّهارُ أي: ارتفع، فَقَولُهم في الأمرِ (تعال) مِن العُلوِّ؛ كَأنَّه قال: اصعد إليَّ؛ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قاله الذي بالحضيض لِلَّذي في عُلوِّه؛ فَكَأنَّه دَعاه إلى ما فيه رفعةٌ[1]. ولَمّا كانت مادَّتُه تَدور حَول الرِّفعة، آثَرَ التَّعبيرَ به دون الإتيانِ الذي يحمل معنى المجيء فقط، وهو غيرُ مناسبٍ لسياق الآية لأنَّ المراد: (اذهبوا إلى رسول الله واطلبوا منه أن يَستغفرَ لكم)[2].

وجاء التَّعبيرُ بصيغة الأمر لنصح المنافقين وإرشادهم أن يرتقوا ويعلوا عَن ظُلُماتِ النِّفاق والخداع إلى نور النُّبوَّة وشَرَف طَلَب الاستغفار منه ﷺ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

طَلَبُ سَتر الذَّنب وتَجَدُّدِ الرَّحمة

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالاستغفار في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ دون التَّعبير بالتَّوبة لأنَّ الاستغفار مُقدِّمةُ التَّوبة، ومعلومٌ أنَّ الاستغفار يكون بطلب الدُّعاء أو بالتَّوبة، ولأنَّ مادَّته اللُّغَويَّة تَدُلُّ على سَتر الذُّنوب ومَحوها، بخلاف التَّوبة فإنَّها تَدُلُّ على النَّدم على فِعل الذَّنب وعدم العودة إليه، وهذا غيرُ متحقِّقٍ في المنافقين؛ فما ندموا على ما فعلوا، بل استكبروا وأصرّوا على أفعالِهم.

وجاء التّعبيرُ بالمضارع على صيغة الاستفعال للدّلالة على طلب المغفرة وتجدُّدها[3]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ أمر المغفرة ليس بيد رسول الله ﷺ، بل يطلبها مِن رَبِّه، وهذا يَدُلُّ على حرصِه ﷺ عليهم، ورحمتِه بهم مع ما فعلوا مِن أفعالٍ شنيعةٍ.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (علو).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 243.
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 416.

دلالةُ اللّام في ﴿لَكُمْ﴾:

طلبُ المغفرة لأجل المنافقين خاصَّةً

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بحرف الجَرِّ (اللّام) في قوله جَلَّ شَأنُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وهي هنا دالَّةٌ على التَّخصيص، أي إنّه ﷺ يطلُب الغفرانَ لأجلكم خاصَّةً[1]. وهذا مِن الحَثِّ والتَّرغيبِ بالاستجابة. وفيه التَّمييزُ بين هذا الاستغفار المخصوص للمنافقين وبين استغفاره ﷺ لعموم المسلمين كما ورد في بعض آيات القرآن مثل قوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]

نُكتةُ تقديم شِبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾:

التَّلطُّفُ بالمذنبين ترغيبًا لهم بالتّوبة

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ على الفاعل، ولَم يقل: (يستغفر رسولُ الله لكم)؛ وذلك للاهتمام بالمخاطَبين، وتعجيلِ البشارة لهم، فالغرضُ بيان الاهتمام بهم، والتَّلطُّفُ بهم في الدَّعوة، وفيه تعليمٌ للدُّعاة بأن يتلطَّفوا بالمدعوّين عمومًا وبالمذنبين خصوصًا، دون نَظَرٍ إلى جُرم معصيتهم اقتداءً به ﷺ.

سِرُّ التَّعبير بلفظ ﴿رَسُولُ﴾ مَع دلالة الإضافة:

تحقُّقُ المغفرة بتعظيم المستغفِر

آثَرَ القرآنُ التَّعبيرَ بِلَفظِ ﴿رَسُولُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ دون لفظ (نبي)؛ لأنَّ الرسول أخصُّ مِن النَّبيِّ، والمقام هنا في طلب الاستغفار مِن هذا الجُرم العظيم الَّذي ارتكبوه في حَقِّه ﷺ؛ فَناسَب التَّعبيرُ بِمقام الرِّسالة. كما فيه رَدٌّ على كَذِب المنافقين الّذين قالوا عن غير اعتقاد: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ فكان التَّعبيرُ هنا بالرِّسالة لإفحامهم، وفيه تسليةٌ لرسول الله ﷺ بإثبات رسالته.

وأضاف النَّظمُ الجليلُ لفظَ (الرّسول) إلى اسم الجلالة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ للدِّلالة على عظيمِ قَدرِه وعُلوِّ مكانته،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 83.

فهو أقربُ الخَلقِ إلى الله وأشرفُهم وساطةً في المغفرة[1]، كما أنَّ استغفارَه لهم كافٍ لأن يكون سببًا في العفو والرّحمة.

سِرُّ التَّعبير بـ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾:

آثر النَّظمُ الجليلُ التَّعبير بقوله: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ دون (ينغضون) مع اشتراكهما في المعنى العامِّ في هزِّ الرَّأس وتحريكها للفرق بينهما؛ فاللّوي أصلٌ يدُلُّ على إمالة الشّيء؛ يقال: لوى الرَّجلُ برأسه: أماله[2] وألْوَى برأسه: أمال وأعرض[3]. فاللّوي فيه إعراضٌ وتكبُّرٌ.

تحريكُ الرَّأس إعراضًا واستكبارًا

تحريكُ الرَّأس إعراضًا واستكبارًا

أمّا النَّغضُ فأصلُه يَدُلُّ على هَزٍّ وتحريكٍ. والإنغاض: تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجِّب منه[4]. وأخذ يُنْغِض رأسه كأنَّه يستفهم ما يُقال له[5]. فالنَّغضُ هو حركة الرّأس للجواب، قال الله سبحانه: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: 51] أي (يحرِّكون رؤوسهم كما نفعل حين نردُّ على سؤالٍ ما بدون النُّطق نُحَرِّك الرَّأس مِن الأعلى إلى الأسفل، وتعني: نعم، أو من الأسفل إلى الأعلى، وتعني: كلّا، أو لا)[6]. فاللّوي حركة الرّأس للإعراض والاستكبار، والإنغاض حركة الرّأس للجواب والاستفهام والتَّعجُّب. فعَبَّرَ في الآية باللّوي لأنّه أراد بيان استكبارهم وإعراضِهم عن الدَّعوة إلى طلب الاستغفار مِن النَّبيِّ ﷺ.

أثَرُ تَعَدُّدِ القراءات في قوله: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾:

تعدَّدَت القراءاتُ في قوله تعالى: ﴿لَوَّوْا۟﴾؛ فقرأ جمهورُ القُرّاء بتشديد الواو، وقرأ نافعٌ وروحٌ عن يعقوب بتخفيف الواو الأولى:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 84.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لوي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (لوى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نغض).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (نغض).
(6) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّوريّ الجامع: 15/ 51.

﴿لَوَّوْاْ﴾[1]؛ فوجه قراءة الجمهور في ﴿لَوَّوْاْ﴾ بتشديد الواو، أنَّها مضاعف (لوى) للدِّلالة على الكثرة، وهذا يقتضي كثرةَ اللَّيِّ منهم؛ أي (لوى جمعٌ كثيرٌ منهم رؤوسهم)، وفيه دلالةٌ على أنَّهم فعلوا ذلك اللَّيَّ في غاية الشِّدَّة والتَّكبُّر والإعراض، وفيه إظهارٌ لِشِدَّةِ البُغضِ والكراهية مِنهُم لرسول الله ﷺ، وأمّا قراءةُ نافع وروح، فهي بتخفيف الواو مِن باب الاكتفاء بإسناد الفعل إلى ضمير الجماعة.[2]

بلاغةُ الكنايةِ في قولِه: ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾:

المتكبِّر يلوي رأسه ويعرض عن الحقّ

عَبَّرَ النَّظمُ الجليل بِلَيِّ الرّؤوس في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ كنايةً عن الاستكبار عن الدَّعوة، والاستخفافِ بالاستغفار وطلبِ التَّوبة، وكُلُّها صفاتٌ تنسجم مع ما بعده مِن قوله: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾. فَهُم يميلون رؤوسهم على سبيل الاستهزاء والرَّفض[3]، وهذا التَّعبيرُ كنايةٌ عن حركةٍ ملحوظةٍ مِن المنافقين في تعاملهم مَعَ النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، وهي تحمل الاستكبار والإعراض.

دلالةُ الجَمع في قوله ﴿رُءُوسَهُمْ﴾:

اتِّفاقُ طبيعة المنافقين على التَّكبُّر والإعراضِ عن الحَقِّ

دلَّ التَّعبيرُ بالجمع في قوله: ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ على أنَّ المنافقين جميعًا في حالةٍ واحدةٍ مِن الاستكبار والإعراض عن طلب الاستغفار؛ فلا يوجَدُ فرقٌ بينهم مع تعدُّدِهم إلّا أنَّ طبيعتهم مُتَّفقَةٌ في الإعراض عن قبول طلب الاستغفار.

دلالةُ الواو في قوله ﴿وَرَأَيْتَهُمْ﴾:

استكمال الصّورة البغيضة للمنافقين

عَطَفَ النَّظمُ الجليلُ الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿لَوَّوْاْ

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 388.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 244.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 182.

رُءُوسَهُمْ﴾ بالواو العاطفة[1]، وذلك لاستكمال رسم الصّورة البغيضة الّتي يُظهِرونَها حال دعوتهم للتَّوبة وللقدوم إلى النّبيِّ ﷺ وطلب الاستغفار. فيُظهِرون العناد مع التَّكبُّر والغرور، حَتَّى يراهم الرّائي بعينه وهم على تلك الصّورة المنكرة[2].

سِرُّ التَّعبير بقوله: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ﴾:

أظهروا كِبرهم حتّى أبصره كلُّ ناظرٍ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالرُّؤية في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ دون غيرها كالإبصار مثلاً، لعموم الرُّؤية، فهي إدراكٌ للمرئيِّ، وتكون بالبصر أو بالقلب أو بهما معًا؛ لذلك كان التَّعبير بها مناسبًا للسّياق؛ لأنَّها تحتمل الرُّؤية البصريَّة والقلبيَّة؛ فهي رؤية عين لمشهد لَيِّ الرؤوس، ورؤيةُ قلبٍ للصُّدود، ولا سيَّما أنه نابعٌ مِن حقدهم على رسول الله ﷺ، والمراد بالخطاب كلُّ من يتأتَّى منه النَّظرُ والرُّؤية بالعين، أي (ورأيتَهم يا من تراهم وتشاهدهم حينئذٍ)[3].

دلالةُ التَّعبير بالصَّدِّ مادَّةً وصيغةً:

إعراض المنافقين عن الحَقِّ راسخٌ ومتجدِّدٌ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالصَّدِّ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ دون غيره كالإعراض والتَّولّي؛ لدلالة الصَّدِّ على شِدَّةِ المنع، والصَّرف عن الأمر[4]؛لأنَّ الصَّدَّ يَدُلُّ على إعراضٍ وعدولٍ؛ يقال صددتُ فلاناً عن الأمر: عدلتُه عنه. ولمّا كان الصَّدُّ بمعنى الإعراض والإنصراف وهما مناسبان لحالة المنافقين في تعاملهم مع رسول الله والمؤمنين؛ حيثُ كانوا يُعرضون عن الرَّسول وينصرفون عنه ويمنعون النّاس مِن قبول الدَّعوة، جاء التَّعبيرُ بالصَّدِّ، فإنَّه بيانٌ لإعراضهم عن المؤمنين ومَن يدعوهم إلى الاستغفار[5]. وجاء

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 723.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 409.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 244.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (صدد).
(5) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 416.

التَّعبيرُ بالفعل المضارع للدِّلالة على تجديدهم ذلك الصّدّ[1]. وتعبيرًا عن إصرارهم ورسوخهم في الكفر والاستكبار.

نُكتةُ حذف متعلَّق الصَّدِّ:

الإعـــراض عن الدَّعوة وعن كُلِّ خير

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالفعل ﴿يَصُدُّونَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ دون ذِكر متعلَّقِ الصَّدِّ، فحُذف ما يصدّون عنه، وذلك لظهور المعنى من السّياق، فهم يُعرضون عن القائل الّذي يدعوهم إلى الذّهاب للنّبيّ ﷺ لِطَلَبِ الاستغفار[2]. كما أنّه صالحٌ أن يكون دالًّا على عموم الإعراض، فهم يصدّون عن كلّ خير، ويُعرضون عن الدّعوة والحقّ والاستغفار، وكلِّ ما فيه صلاحهم.

دلالةُ الواو في صدر الجملة الاسميّة:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالواو في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾؛ لأنَّها للحال، أي: (رأيتهم صادّين مستكبرين عن الاعتذار والاستغفار)[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملة الاسميّة:

تأكيد الاستكبار وثـــبـــوتـــه في المنافقين

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالجملة الاسميّة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ دون التَّعبير بالفعليَّة فلَم يقل: (وهم يستكبرون)، لأنَّ الجملة الاسميّةَ تَدُلُّ على ثبوت صفة الاستكبار ورسوخه في نفوس المنافقين، بخلاف الفعليَّة، فلا تؤدّي هذا المعنى المراد، وهو أنَّ الاستكبار أصبح صفةً ملازمةً لهم لا تنفكُّ عنهم[4].

دلالةُ التَّعبير بالاستكبار مادَّةً وصيغةً:

التَّكبُّر عن قبول الـحـقِّ صـفـةٌ راسخَـةٌ في أهل النِّفاق

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالاستكبار في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ لدلالة التَّكبُّر والاستكبار على الامتناع عن قبول الحقِّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 84.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 252.
(3) القنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 149.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 84.

والإذعان لله تعالى بالعبادة[1]. وجاء التَّعبير بصيغة اسم الفاعل للدّلالة على رسوخ الوصف فيهم[2]، فعبّر بذلك ليُظهر إصرارَهم على رفض التّوبة، وامتناعَهم عن طلب الاستغفار، لا عن جهلٍ، بل عن شعورٍ باطلٍ بالعزّة والزّهوّ؛ لأنَّهم لا يجعلون أنفسهم في محل الاعتذار، بل إنَّهم لِشِدَّة غلظتهم لا يُدركون قُبح ما فعلوا؛ لأنَّ الكِبر يُعمي صاحبه عن رؤية الحقِّ.

دلالةُ حذف متعلَّق ﴿مُّسْتَكْبِرُونَ﴾:

حُذِف متعلَّقُ ﴿مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ لإفادة العموم، فَهُم مستكبرون أن يتوبوا إلى الله ويُنيبوا إليه، ومستكبرون أن يأتوا رسول الله ليستغفر لهم، ومَن استكبر على الله ورسوله، استكبر عن قبول الحقِّ بكُلِّ صوَره.[3]

مَن استكبر على الله ورسوله، استكبر على قبول الحقِّ بجميع صوره

نُكتةُ فَصلِ الآية عن سابقتها:

فَصَلَ النَّظمُ الجليلُ الجملة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عمّا سبقها لأنَّها جملةٌ معترضةٌ سيقت لمناسبة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾، وتظهر بلاغةُ الاعتراض في وقوعها بين حكاية أحوال المنافقين[4]، لِتُنبِّهَ على أنَّهم قد بلغوا مِن العناد مبلغًا لا ينفع معه استغفارٌ ولا دعوةٌ. فجاء هذا الاعتراضُ ليقطع الطَّمعَ في توبتهم، وأنَّهم ليسوا بأهلٍ للاستغفار[5].

المنافقون ليسوا أهلًا للاستغفار

ويجوز أن تكون الجملةُ استئنافيَّةً مسوقةً لبيان حال المنافقين عند الله، مع الكنايةِ عن أمرِ الرَّسول ﷺ بالتَّوَقُّف عن الاستغفار لهم.[6]

(1) الرّاغب، المفردات: (كبر).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 84.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 11/ 490.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 244.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 84 - 85.
(6) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 4/ 262.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿سَوَآءٌ﴾:

المساواةُ بينَ الاستغفار وعدمِه دلالةً على اليَأس مِن الهداية

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بـ﴿سَوَآءٌ﴾ في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛لأنَّه في دلالته اللغويَّة يدُلُّ على استِقامةٍ واعتِدالٍ بين شَيئَيْنِ[1]، فهو دالٌّ على أنَّ الاستغفار وعدمَه مستويان في حَقِّهم، فلا ينفعُهم الاستغفارُ لإصرارِهم على النِّفاق، واستمرارِهم على الكُفر[2].

سرُّ التَّعبيرِ بحرف الاستعلاء (على):

تمكُّنُ المساوة فيهم يُؤكِّد انتفاءَ انتفاعهم بالاستغفار

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بحرف الجَرِّ (على) في قوله جلّ شأنه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ دون (عند)، وذلك لملازمة حرف الجَرِّ (على) لكلمة ﴿سَوَآءٌ﴾ غالباً في القرآن الكريم، ولأنَّها حرفٌ دالٌّ على الاستعلاء - والمرادُ الاستعلاءُ المجازيُّ - وذلك للدّلالة على تمكُّن وصف المساواة بين الاستغفار وعدمِه في شأنهم حتَّى تخلَّقوا به، فصار مجرَّداً مِن أدنى مَيلٍ وكُلفةٍ، فهو مجازٌ في التَّلبُّس والتَّمكُّن، أي سواء فيهم[3]. وذلك لتأكيد عدم انتفاعهم بالاستغفار لغلوِّهم بالكفر والخداع.

بلاغةُ التَّعبير بالاستفهام:

عدم مبالاة المنافقين بالاستغفار من عدمه

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالاستفهامِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ولا يُطلَب به جوابٌ، إذ هو استفهامٌ مجازيٌّ جيء به للتَّسوية بين الفعل وتركه، فهو كنايةٌ عَن قِلَّةِ اعتنائهم بِكلا الحالين بقرينة لفظ ﴿سَوَآءٌ﴾[4]، فالمعنى: لا فرق في شأنهم بين أن تستغفر لهم أو لا، فقد خُتم على قلوبهم، وارتفع الرَّجاءُ منهم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوي).
(2) القنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 149.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 245.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 245.

سرُّ التَّعبير بصيغة الاستفعال:

طلبُ المغفرةِ وسَترِ الذّنوبِ من الله تعالى

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عن المغفرة بصيغة الاستفعال في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ للدِّلالة على طلب المغفرة[1]، فطلبُ المغفرةِ مستوٍ مع عدم طلبه.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ما ارتكبه بعض المنافقين في حقِّه ﷺ هو معصيةٌ لله ربِّ العالمين؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالاستغفار بصيغة الاستفعال الَّتي تحمل معنى الطَّلب للإشارة إلى طلبه ﷺ مِن ربِّه أمرَ المغفرة؛ لأنَّ الخطأ في حقِّ رسول الله معصيةٌ لله.

دلالة الخطاب في قوله: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾:

الخطابُ في قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ موَجَّهٌ لرسول الله ﷺ؛ لأنَّه كان حريصًا على صلاحهم ويُحِبُّ أن يستغفر لهم، ورُبَّما ندَبَه إلى ذلك بعضُ أقاربهم.

دلالةُ التَّعبير بالماضي في قوله ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾:

جاء التَّعبيرُ بالماضي في قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ للإعلان بأنَّ حرمانَ الله إيّاهم مِن رحمته متحقِّقٌ حَتَّى مع تحقُّقِ استغفار الرَّسول لهم، وفيه تشبيهُ الوجود بالعدم في عدم الجدوى.[2]

نُكتةُ حَذفِ متعلَّق ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾:

المرادُ بالاستغفارِ التَّوبةُ مِن النِّفاق

حذَفَ النَّظمُ الجليلُ متعلَّق الاستغفار في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لدلالة السّياق عليه، إذ المراد به الاستتابة من النِّفاق، فيستغفر لهم، إذ كان استغفاره متسبِّبًا عن طلبهم التّوبة[3]، فاكتفى بظهور المعنى دون التّصريح به إيجازًا في التّعبير. وفيه كذلك إعراضٌ عَن ذِكر النِّفاقِ لقُبحه وشناعته.

(1) الرّاغب، المفردات: (غفر).
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 4/ 263.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 182.

دلالةُ اللّام في ﴿لَهُمْ﴾ في مواضعها الثّلاثة:

نفي بلوغ المغفرة واختصاصها عَمَّن لا يستحقُّها

عَدَّى النَّظمُ الجليلُ فِعلَ المغفرة باللّام الجارَّة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ في مواضعها الثَّلاثة لدلالتها على الاختصاص، فالاستغفار أو تركُهُ موجّهٌ إليهم، والخطاب يخصُّهم، وفائدة التَّكرار تأكيد المعنى. فتخصيص الاستغفار بهم لا ينفعهم، كما أنَّ قوله تعالى: ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ يدُلُّ على أنَّ حُكم عدم المغفرة خاصٌّ بهم وهم المقصودون به[1]. ويمكن أن تكون للتّعدية، كما في قوله جلّ شأنه: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: 5][2]. فيكون أثر المغفرة واقعًا عليهم.

دلالةُ التّعبير بـ﴿أَمْ﴾:

استوى الاستغفار وعدمه عند المنافقين

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بـ﴿أَمْ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهي هنا مُتَّصلةٌ معادلةٌ، فعطفت الجملة الثّانية على الأولى للتَّسوية التّامَّة بينهما[3]. أي: (استوى عندهم الاستغفارُ وعدمُه، لكُفرِهم ونفاقِهم فلم يعتَدّوا بالاستغفار)[4].

بلاغةُ طباق السَّلب بين إثباتِ الاستغفارِ ونفيِهِ:

تساوي أمرِ الاستغفار وعدمه عند المنافقين دليلٌ على طمس القلوب

جمع النَّظمُ الجليل بين إثبات الاستغفار ونفيه في قوله جلّ شأنه: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ على طريقة الطِّباق، وهو طباق السَّلب، فجمع بين تحقيق الاستغفار ونفيه للدّلالة على أنّ المساواة تامَّةٌ بين الفعلين، فلا تأثير للاستغفار على وجه اليقين. وذلك يبيِّنُ رسوخَهم في النِّفاق.

بلاغةُ جناس الاشتقاق مِن مادّة الاستغفار:

تكرارٌ لفظيٌّ يكشفُ الإصرارَ على الكفر والاستكبار

جَمَع النَّظمُ الجَليلُ بينَ ألفاظٍ مِن جذرٍ واحد في قوله جَلَّ شأنُه:

(1) ينظر في معاني اللّام: ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 275.
(2) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 98.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 724.
(4) الخطيب، السراج المنير: 4/ 296.

﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فَوَرَدت ثلاثةُ أفعالٍ مِن الجذر (غفر) على سبيل الجناس الاشتقاقيّ. وفائدةُ ذلك التَّنبيه على معنى الاستغفار والمغفرة، وهو يُفصح عن مدى إصرارِ المنافقين على نفاقهم إذ يُعانِدون طلبَ المغفرة مِن النَّبيِّ ﷺ.

نُكتةُ فَصلِ قوله ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾:

العقابُ الإلهيُّ للمنافقين

فَصَلَ النَّظمُ الجليلُ الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾؛ لأنّها جملة مستأنفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا، سيقت لبيان الحكم الإلهيِّ على المنافقين، ووعيدهم يوم القيامة، ولِذكر جزائهم على استخفافهم بالدَّعوة إلى طلب الاستغفار مِن النَّبيِّ ﷺ[1].

دلالةُ نَفيِ المغفرة بـ﴿لَن﴾ في قوله ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾:

إصرارُ المنافقين على كُفرِهم أعقَبَهم الحِرمان مِن مغفرة الرَّحمن

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ نَفيَ المغفرةِ بـ﴿لَن﴾ في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾؛ وذلك للدِّلالة على أنَّ انتفاءَ المغفرةِ لَهم مِن الله تعالى مُؤَكَّدٌ لا ينتقض، فهو بيانٌ لِما سَيَلقَون يوم القيامة مِن سوء المصير، جزاءً وِفاقًا لإصرارهم على الكُفر والضَّلال[2]. فهو نفيٌ للمستقبل مُؤَكَّدٌ ومُبالَغٌ فيه، والمُراد مِنه بيانُ شِدَّةِ كُفرِهم ورُسوخِهم فيه[3]. وفيه تيئيسٌ للمنافقين مِن أن ينالوا مَغْفرةَ الله سواء أقبلوا إلى رسول الله ﷺ يطلُبون المغفرة، فاستغفَر لَهُم أو لم يستغفِرْ لَهُم؛ فإنَّ اللّهَ سبحانه لا يغفر لهم؛ لأنَّهم لم يجيئوا إلى النَّبيِّ ﷺ إلّا بطريق النِّفاق، ولم يتحدَّثوا معه إلّا بألسنة المنافقين. ومِمّا يُؤَكِّد ذلك التَّعبيرُ بالمضارع المنفيِّ الَّذي يدُلُّ على عدم وقوع المغفرة لرسوخ النِّفاق في قلوبهم وزوال استعدادهم لقَبولِ الهداية بسبب فِسقهم وخروجِهم عن الفطرة السَّليمة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 245.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 332.
(3) العليميّ، فتح الرّحمن: 7/ 67.

نُكتةُ إظهار اسم الجلالة بَعدَ إضماره:

إظهـارُ الاسـم الجليل يُـؤَكِّـد الحُكم ويُعَظِّم الجزاء

أظهَرَ النَّظمُ الجليلُ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ بَعدَ إضماره فيما سَبَقَ في أفعال الاستغفار السّابقة، وذلك لتفخيم الحُكم بعدم مغفرته لهم، وتأكيد تَحَقُّقِه، فهو المَلِكُ الأعظم الَّذي يَحكُم ولا مُعَقِّب لِحُكمِه[1]، ولأنَّ التَّعبير باسم الجلالة فيه تربيةُ المهابة في القلوب لكسر استعلاء المنافقين.

سرُّ تَكرار شِبه الجملة ﴿لَهُمۡۚ﴾:

تـكـرارٌ يُـؤَكِّـد الاخـتـصـاص المـنـافـقـين للشَّفاعة

كرَّرَ النَّظمُ الجليل شِبه الجملة ﴿لَهُمۡۚ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ وذلك لتأكيد معنى الاختصاص وانتفاء فائدة الاستغفار، وتحقيق الحُكم بأنَّ اللّٰه تعالى لن يغفر للمنافقين ذنوبهم.

نُكتةُ فَصلِ قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾:

لا يـغـفـرُ الـلـه لمستكبرٍ فَسَقَ عن الإيمان بالله وبرسوله

فَصَلَ النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ لأنّها مستأنفةٌ استئنافًا تعليليًّا، سيقت لبيان عِلَّة انتفاء مغفرته تعالى لهم، وذلك لأنَّه حَرَمهم اللُّطفَ والعناية والتَّوفيق للهداية لِما أتَوا بما يوجب الغضب عليهم[2].

فائدةُ تتابع المؤكِّدات في فاصلة الآية:

تأكيدُ التَّعليل للقطع بالحُكم

أكَّدَ النّظمُ الجليلُ الجُملةَ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ بحرف التَّأكيد، وبالجملة الاسميَّة، وبتقديم المسند إليه على المسند الفعليِّ، وذلك لمناسبة النَّفي المُؤَكَّد السّابق في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ فجاء الخطابُ مؤكَّدًا لبيان سبب انتفاء مغفرتهم المؤكّد[3]، فيأتي الكلام على نَسَقٍ واحدٍ مِنَ القوَّة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 85.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 245.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 86.

والتَّأكيد، ولأنَّ مضمون الخبر الوارد في الآية مِن الحقائق العظيمة الَّتي يلزمها التَّفخيمُ بأدوات التَّوكيد لِخَطَرها.

نُكتةُ إظهار اسم الجلالة في موضع إضماره:

العليمُ الخبيرُ بما في قلوب المنافقين هو الّذي نفى عنهم الهداية

أظهر النَّظمُ الجليل اسم الجلالة في موضع الإضمار في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ دون أن يقول: (إنّه لا يهدي القوم الفاسقين)؛ لتأكيد انتفاء تحقّق الهداية للفاسقين، لأنّه تعالى هو المُطَّلع على ما في قلوبهم من استعدادٍ لقبول الهدى واستحقاقه[1]. فاللّه تعالى الّذي له صفات الكمال مِن العِلم والقدرة هو الّذي نفى الهداية عنهم فأنَّى لهم التَّوفيق.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع المنفيّ: ﴿لَا يَهۡدِي﴾:

الحِرمانُ مِن الهداية حكمٌ لا يزول عن الفاسقين

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفِعل المضارع المنفيِّ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ للدِّلالة على تَجَدُّد النَّفي واستمراره، فهو تعالى لا يهدي الفاسقين على الدَّوام لِعِلمه أزَلًا بأنَّهم لن يخرجوا عن فِسقهم، بل ورسوخهم فيه.

دلالةُ حَذف مُتَعَلَّق الفِعل ﴿لَا يَهۡدِي﴾:

لم يَذكُر القرآنُ الكريمُ مُتَعلَّق الفِعل ﴿لَا يَهۡدِي﴾ بأن يقول مثلا: (لا يهدي القوم الفاسقين إلى الإيمان)، لإفادة نفي عموم الهداية للفاسقين في أيِّ أمرٍ نافعٍ مِن أمور الدُّنيا والآخرة.

دلالةُ التَّعبيرِ بالقَوم في قولِه: ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾:

رسوخُ الفِسقِ فيهم حتَّى أصبح مِن مُقوِّمات هويّاتِهم

جاء التَّعبيرُ القُرآنيُّ بِذِكر لَفظِ القَوم دون أن يقول: (إن اللّه لا يهدي الفاسقين)؛ لِبَيان أنَّ ما وُصِفوا به مِن الفِسق هو مِن الطِّباع الَّتي رَسَخت في قلوبهم وصارت سَجيَّةً لَهُم حتَّى عَدّوه مِن مُكَمِّلات قوميَّتِهم،

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 416.

وصار الفسقُ هو القاسِمَ المُشتركَ بينهم جميعًا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ نَفيَ الهداية مخصوصٌ بقومٍ تَمَرَّدوا على الحَقِّ وفَسَقوا عن أمرِ رَبِّهم.

دلالةُ الإظهار ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في مَوضعِ الإضمار:

جاء التَّعبيرُ القُرآنيُّ بإظهار لفظ الفاسقين دون الإضمار فَلَم يَقُل: (إنَّ اللّه لا يهديهم)؛ لبيان غُلوِّهم في الفسق والإشارة إلى عِلَّة الحُكم؛ أو للجنس وهم داخلون في زُمرتهم دخولًا أوَّليًّا.[1]

سرُّ التَّعبير بـ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾:

وصَفَ النّظمُ الجليلُ المنافقين بالفِسق في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ دون غيره مِن الأوصاف التي سَبَق ذِكرُها، للدِّلالة على عِلَّة عَدَم استحقاقهم الهداية فَهُم خارجون عَن أسباب الصَّلاح والتَّوفيق لِما دَأبوا عليه مِن الكُفر والنِّفاق[2]، ولِأنَّ كُلًّا مِن المنافقين والكافرين والمستكبرين يَدخُل تحتَ وصفِ الفاسقين.[3]

الرّسوخ في الخروج عن الطّاعة هو العِلَّة في الحرمان مِن التَّوفيق

وجاء التَّعبيرُ بصيغة اسم الفاعل للدِّلالة على كمال الوصف فيهم وثباته، أي الكاملين في الخروج عن طاعة اللّه تعالى، المبالغين في الإسراف في معصيته[4].

دَفعُ تَوَهُّم التَّعارض بين هذه الآية وبين آية التَّوبة:

دَلَّت آيةُ سورةِ المنافقون على عَدَم الغُفران للمنافقين مطلقًا؛ أمّا آيةُ التَّوبة: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: 80] فَتوهِم طَمَعَ المنافقين في المغفرة بَعدَ استغفار رسول اللّه لهم أكثَرَ مِن سبعين مَرَّةً، والجواب على ذلك أنَّه لا تعارُضَ بين الآيتين فَإنَّ آية المنافقين هي الآيةُ الأخيرة، بَيَّنت أنَّه

لا غُفرانَ للمنافقين، ولا مطمع فيه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 253.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 215.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/ 332.
(4) القنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 149.

لا يَغفرُ اللّهُ لَهُم على كُلِّ حالٍ؛ لأنَّهم كُفّارٌ في الباطن. ولأنَّ المقصود في الآيتين مختلفٌ؛ فآيةُ سورة التَّوبة نَزَلت في اللّامِزين، وهذه نَزَلت في ابنِ أُبَيٍّ وأصحابه، كما نطقتْ به الأخبارُ الصحيحة.[1] كما أنَّه لا مفهومَ للعدد كما هو مقرَّرٌ عند الأصوليّين.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللَّوْيُ والإنغاض:

اللّوي أصلٌ يدُلُّ على إمالةٍ للشّيء. يقال: لوى يده يلويها. ولوى برأسه: أماله[2]. ولَوى الرَّجُلُ رَأسَه وألْوَى برأسه: أمال وأعرض[3]. والمراد به في الآية الكريمة: أمالوها وعَطَفوها تَكَبُّرًا عَن الحَقِّ[4]. فاللّوي فيه إعراضٌ وتَكبُّرٌ.

اللّوي حركة الرّأس تكبّرًا وإعراضًا، والإنغاض حركته للجواب والاستفهام والتّعجُّب

أمّا النَّغضُ فأصلُه يَدُلُّ على هَزٍّ وتحريك. والإنغاض: تحريك الإنسان رأسَه نحو صاحبه كالمتعجِّب منه[5]. وأخذ يُنْغِض رأسه كأنّه يستفهم ما يُقالُ له، أي يحرِّكُه ويميل إليه. أنْغَضَ رأسَه إذا حرَّكَه إلى فَوقُ وإلى أسفلُ[6]. فالنّغض هو حركة الرّأس للجواب، قال الله سبحانه: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: 51]. فاللّوي حركة الرّأس للإعراض والاستكبار، والإنغاضُ حركة الرّأس للجواب والاستفهام والتّعجّب. فعبّر في الآية باللّوي لأنّه أراد بيان استكبارهم وإعراضِهم عن الدّعوة إلى طلب الاستغفار من النّبيّ ﷺ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 28/ 113، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 10/ 296.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لوي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (لوى).
(4) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لوي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نغض).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (نغض).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"